

الحمدُ لله الذي أكمل لنا الدينَ وأتمَّ علينا التَّعمَةَ،  
وجعل أمتنا خيرَ أمة، وبعث فينا رسولاً منّا يتلو علينا  
آياته ويزكينا ويعلمنا الكتابَ والحكمة، أحمدُه سبحانه  
وأشكره على نِعَمه والآئه الجمَّة، وأشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادةً تكون لمن اعتصم بها خيرَ  
عِصمة، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله  
أرسله ربُّه للعالمين رحمة، صلَّى اللّوسلم وبارك عليه  
وعلى آله وصحبه صلاةً تكون لنا نوراً من كلِّ ظلمة،  
وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى  
الله، فاتقوا الله رحمكم الله؛ فليس أطيب من العافية، ولا  
أغنى من القناعة، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكِ خَيْرٌ﴾  
[الأعراف: ٢٦]. الدنيا دارُ عملٍ لا دارُ كسل، ويوم  
تقوم الساعةُ لا فوزَ إلا بالطاعة، ومن كان له من نفسه

واعظ كان له من الله حافظ، ومن أصلح أمر أخريته  
صلح له أمر دنياه، والناس لن يعطوك أو ينفعوك إلا بما  
قدّر لك، ولن يضرّوك أو يمنعوك إلا بما قضى  
عليك، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

أيها المسلمون، قيل لبعض أهل الفضل: هل قرأت  
"أدب النفس" لأرسطو؟ فأجاب بعزّة وثقة: بل قرأت  
أدب النفس لمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

الله أكبر! كتاب ربنا مليءٌ بالتوجيهات والآداب في  
شؤون الحياة والأحياء، شربًا وأكلًا، وقولًا وفعلاً،  
واستئذانًا ومُحادثات، ولياسًا ومُعاملات، وضبطًا  
للمواقيت والمواعيد، ومثل ذلك وتفصيلاته في كتب  
الصّحاح والسّنن، في سنّة المُصطفى صلى الله عليه وآله  
وسلم وسيرته. كيف ونبينا محمدٌ ﷺ بُعث ليتمّم صالح

الأخلاق ومكارمها؟! والأحكام والتشريعات حينما كانت  
تنزّل تنزّلت مُتكاملةً، في بناءٍ من حُسن الخلق متين،  
وسدادٍ في السلوك جميل، وذوقٍ في التعامل رفيع.

معاشر المسلمين، أدبُ النفس ورفعَةُ الذّوق وجمالُ  
التعامل من أجلّ ما وهبَ اللهُ عبده من نعمٍ، ومُراعاة  
المشاعر وحُسن المُعاملة مقصدٌ شرعيٌّ من مقاصدِ  
الدين عظيم.

الذّوقُ مسلكٌ لطيفٌ وتصرفٌ حميدٌ يحملُ معاني  
الأدب، وعالي الرّقّة، وحُسن المعشَر، وكمال التهذيب،  
وحُسن التصرف، وتجنّب ما يُحرّجُ أو يجرّح من فعلٍ أو  
قولٍ أو إشارة.

والناسُ تُحبُّ لِيَنَ الجانبِ باسِطِ الوجه، والقلوبُ  
تُقبِلُ على من تواضَعَ لها، فالمواجهَةُ بالوجه الجميل،  
والمُصافحةُ بالكفِّ الكريم، والتحدُّثُ باللسان المُهذَّب

يعطفُ القلوب، ويُمهّدُ السبيل لقبول كل ما يُقدّم من علمٍ ونُصحٍ، ونقدٍ وتوجيه.

إخوتي في الله، وإن من علامات الإيمان وعنوان السعادة: أن يُرزق العبد ذوقاً راقياً وتهديباً رقيقاً؛ ليستمتع بالحياة، ويحترم المشاعر، ويدخل السرور على نفسه وعلى الآخرين من الأقربين والأبعدين، والحياء شعبةً من الإيمان.

وهل رأيتم أرفع ذوقاً وأرقى سلوكاً من أسوتنا وقُدوتنا وسيدنا نبينا محمدٍ ﷺ؟! ألم تفرؤوا في سيرته أن الأمة كانت تأخذُ بيده -عليه الصلاة والسلام- فتنتلق به حيث شاءت؟! وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمُصافحة، ولا ينزعُ يده حتى يكون الرجلُ هو الذي ينزعُ يده، ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجلُ هو الذي يصرف وجهه، ولم يُرْ مُقدِّماً زُكَّته بين يدي جليسه. أخرجه الترمذي. ويقول أنس رضي الله عنه: ما التَقَمَ

أحدُ أذنِ رسولِ الله ﷺ - يعني: يُناجيه - فيُنحِّي رأسه حتى يكون الرجلُ هو الذي يُنحِّي رأسه، وكان ضحكُه تبسُّمًا.

معاشر الأحيَّة، يعجزُ بعضُ أصحابِ العبادات والقُرْبَات - ووقَّعهم الله وتقبَّل منهم - يعجزون أن يربطوا بين حُسن التَّعبُد وحُسن الخُلُق وسُمُو الذُّوق، فترى هذا المُتعبَّد - حفظه الله - يحرصُ على العبادات في أوقاتها وهيئاتها، لكنَّه قد يرتكبُ أعمالًا ياباها الخُلُق الكريم، ومن لم تُزكَّه عبادته وتُهدِّبه ديانتُه فما الذي حصله يا تُرى؟! وخبرُ المُفلسِ عندنا - أهل الإسلام - معلوم، وهو من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذَّفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا. وحينئذٍ يكونُ القصاصُ؛ فأين حسناتُه؟!

وهل يبدو تقيًّا من بدا كالِحِ الوجه، بادِي الشَّرِّ، قَريبَ العُدوان؟! و«آيَةُ المَنافِقِ ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذِبًا،

وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإن صلى وصام  
وزعم أنه مسلم» حديث صحيح.

ومن مطلوب العبادات ومقاصدها: أن لا تختلف  
القلوب، ولا تكدر النفوس، «سؤوا صفوفكم، ولينوا في  
أيدي إخوانكم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»،  
«والمؤمن بحسن خلقه يُدرِك درجة الصائم القائم» رواه  
أبو داود.

معاشر المسلمين، ومما يتجلّى فيه مظاهر الذّوق  
والأدب الرفيع في ديننا: آداب الأكل من غسل اليدين،  
والأكل مما يليه، والأكل باليمين، ولا ينفخ في الطعام،  
ولا يتنفس في الإناء، ولا يفعل ما يُستقذر أو يُستنكر أو  
يُستكره قولاً وفعلاً وإشارة، وكُل من الطعام المُباح ما  
اشتبهت، والبس من اللباس ما يشتهيه الناس. دُعِيَ نبيُّنا  
محمد ﷺ إلى ضيافةٍ عند رجلٍ، فيقول له عليه الصلاة  
والسلام: «لقد دعوتنا خمسة، وهذا تبعنا، فإن شئت

قِيلَتْهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرْجَعْتَهُ»، فقال الرجل: قِيلِنَاهُ مِنْ أَجْلِكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ. هَذَا -وَرَبِّكُمْ- هُوَ الْأَدَبُ، وَهَذَا هُوَ  
الذُّوقُ فِي أَسْمَى صُورِهِ وَمَعَانِيهِ.

وَمِنْ دَلَائِلِ الْأَدَبِ الْعَالِيِ وَالذُّوقِ الرَّفِيعِ: آدَابُ  
الزِّيَارَاتِ وَالِاسْتِئْذَانِ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْمَارِ، مِنَ الْبَالِغِينَ وَمِنَ  
الْأَطْفَالِ، مِنْ طَرَقِ الْبَابِ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَعَدَمِ الْوُقُوفِ  
مُقَابِلِ الْبَابِ؛ فَإِنَّمَا جُعِلَ الْاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصْرِ،  
وَتَخْيِيرِ أَوْقَاتِ الزِّيَارَةِ، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا  
هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]، وَالْجُلُوسُ حَيْثُ يُجْلِسُهُ  
صَاحِبُ الْبَيْتِ، أَوْ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ حَسَبِ  
الْأَحْوَالِ.

وَالْقَوْمُ أَعْلَمُ بِعَوْرَاتِ بَيْوتِهِمْ، وَلَا يُقِيمُ أَحَدًا مِنْ  
مَجْلِسِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ، ﴿وَإِذَا  
قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١]. وَلَا يَتَنَاجَى  
اِثْنَانٌ إِلَّا بِإِذْنِ الثَّالِثِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ، ﴿وَإِذَا بَلَغَ

الأطفال مِنْكُمْ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴿ [النور: ٥٩] ،  
والذين لم يبلغوا يستأذنون في العورات الثلاث: من قبل  
صلاة الفجر، وحين وضع الثياب من الظهر، ومن بعد  
صلاة العشاء.

وفي أدب الاجتماعات والتشاور وإدارة الجلسات  
يأتي التوجيه القرآني: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ  
يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَن لِمَن شِئْتَ  
مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [النور:  
٦٢].

ومن اللياقة في آداب الجوار والجيران: أن لا يطلع  
على داره، ولا يتبع نظره فيما يحمله، ويغض طرفه عن  
حرمه، ويستتر ما ينكشف من عورته. ومن زار مريضاً



فمن الكياسة: أن يُخفف الجلوسَ، ويدعُو بالعافية؛ فإن المريض يُعاد، والصحيح يُزار.

ومما تتجلى فيه اللبابة واللياقة وحسن الذوق: قيادة المركبات، ومُراعاة إيقافها في مواقعها، والتزام قواعد المرور وضوابط السير، وحسن الوقوف المنظم صفوفًا، وحسن استخدام المرافق العامة والمحافظة عليها ونظافتها وصيانتها وعدم العبث بها والتعدي عليها. ناهيكم بما أنعم الله به على أهل هذا الزمان من وسائل الاتصال وما يجب من مُراعاة الأدب في استعمالها مُحادثَةً وإرسالًا واستقبالًا.

ومن أبرز علامات الذوق وأرفعها وأعلاها: الحياء حين يتحرَّج عن فعلٍ ما لا ينبغي، ويرفَع عما لا يليق. تأملوا هذه الصورة النبوية الرفيعة، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء

في خدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه.  
رواه مسلم.

نعم، إن من الذوق الرفيع: أن يخجل الإنسان أن  
يؤثر عنه سوء، وأن يحرص على بقاء سمعته نقيّة من  
الشوائب، بعيدة عن الإشاعات، يدوّد عن سمعته ظنون  
العباد.

ومن هذه الآداب: معرفة حقوق أصحاب الحقوق،  
ومنزلة أصحاب المنازل، وإيتاء كل ذي فضل فضله؛  
فللغلام مع من يكبره مُعاملة، وللطالب مع مُعلّمه  
مُعاملة، وللولد مع والده مُعاملة، وللسلطان منزله،  
وللعالم مقامه.

أيها المسلمون، هذه بعض التصرفات والمسالك  
التي يستبين فيها حُسن تصرف الرجل وكياسته ولباقته،  
وقد قال أهل الحكمة: "الفضل بالعقل والأدب، لا  
بالأصل والحسب؛ بل إن من قعد به حسبه نهض به

أدبه". والأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة. يقول أبو جعفر المنصور: "إن أحببت أن يكثر عليك الشناء الجميل بغير نائل فآلقهم ببشر حسن".

والذوق الرفيع - عباد الله - ليس ضعفاً؛ فالرجل الكريم يُفضّل أن يُريقَ دمه على أن يُريقَ ماءَ وجهه، والعاقِلُ في حضرة الرّجال يُحكّمُ سلوكه، ويضبطُ تصرّفه، يتكلّمُ بقدرٍ، ويتصرّفُ بدوقٍ، وإن تمعّر الوجه واهتزاز المشاعر في بعض المواقف دليلٌ سموّ كامنٍ وطبعٍ كريمٍ.

مُستحكّمُ الأدب من أي الأقطار أتيتَه قابلَكَ بكرمِ فعّالٍ وحسنِ مقالٍ. وزُبَّ قولٍ أشدُّ من صَوْلٍ، ومن حصافةِ عقلِ المرء أن يكون الاستماعُ أحبَّ إليه من النُّطقِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ  
صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان:

. [١٨ ، ١٩].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ويهدي محمد ﷺ  
، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر  
المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئةٍ؛ فاستغفروه، إنه هو  
الغفور الرحيم.

الحمد لله رفعَ قدرَ ذوي الأقدار، أحمده سبحانه  
وأشكره برحمته وفضله وحكمته وعدله تنقذُ مصاريقُ  
الأقدار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
يخلقُ ما يشاء ويختار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً  
عبدُ الله ورسولهُ البشيرُ النذيرُ والمُصطفى المُختار، صَلَّى  
الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الأطهار، وعلى  
أصحابه السادة الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما  
تعاقَبَ الليلُ والنهار، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أيها المسلمون، العاجزُ من عجزَ عن سياسة نفسه،  
مسكينٌ من جفَّ ذوقه، وغلظَ طبعه، فلا تسأل عما  
يُحدِثه في نفسه والناسِ من أذى وشرخٍ وشقاءٍ، لا يُراعي  
مشاعر، ولا يأنفُ من مُواجهات، جهولٌ نزقٌ، يُقلِّبُ  
المواجع، وينثرُ المعائب.

وابن القيم -رحمه الله- يصفُ أمثالَ هذا فيقول:  
"فمخالطته حُمى الرُّوح، ثقیلٌ، بغيضٌ، لا يُحسنُ أن

يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن يُنصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها موضعها".

إن للثرثرة ضحيجًا يذهب مع الرشد، وثمة فئة ممن يتصدرون المجالس، يجزمُ مُستمعهم أنهم لا يتحدثون من وعي يقظ، ولا فكر عميق، ولا ذوق رفيع؛ بل ربما ظنَّ الظانُّ أن لديهم انفصامًا بين الاتزان وهذا الكلام المتناثر، وما استقام قلبُ عبدٍ حتى استقام لسانه.

ونعودُ بالله من أناسٍ يبسطون ألسنتهم بالسوء، يتسقطون الأخبار، ويتبعون العورات، هُمزة لُمزة، «وإن أبغضَ الرجالِ إلى الله الألدُّ الخصم» رواه البخاري.

وآفةُ ذي الحِلْمِ طيشُ الغضب، ومن ساءَ أدبه ضاعَ نسبه، والغريبُ من لا أدبَ له، وشرُّ الناسِ عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناسُ اتقاءً فحشه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله؛ فإن الرجل النبيل لا يفقد  
خُلُقَه مع من لا خُلُقَ له، وهل تكونُ المُداراةُ إلا مع  
السُّفهاءِ وأصحابِ الطَّباعِ الشَّرِسةِ والوجوهِ  
الصَّفِيقَةِ؟! ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ  
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:  
٦٣].

هذا، وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداةِ والنعمةِ  
المُسداةِ...